بائع الابر

تعال إليّ
لنصنع – يا صاحبي – أي شيّ
.. اراك تنام وراء الجدار
كضفدعة لفظتها البحار
ودونك شيخ
ودونك طفل
ينامان في الظل .
لا من دثار
.. ولا من إزار
وفوق الوجوه ، وفوق الصدور
خطوط كبار
بقايا جراح .. عليها غبار
تظل تدور
وتنبش عيناك ركب الترام
وتقفز منه
لتندس في الناس ..
بين الزحام
وترفع كفاً لتطرد شيئاً
أظن الذباب
وحين تعود .. مع الليل تمشي هزيل الخطا
وعيناك لا تريان الطريق
ورجلاك أثقلتا بالتراب
وتبصر أمك .. تبدو خيال
تطل اليك
بجوع لتبصر ما في يديك
وحين تريها بقايا الابر
تقول : ألما تبع اي شيّ ..
أجل ! إنني لم ابع أي شيّ
وطاردني الف طفل صغير
وكم بصقتني عيون الكبار
وكم شدني عسكريّ .. قوي
وقد سقطت إبرة في الطريق !
وكم كدت اسقط تحت التراب
فتبتلع الام حزناً عميق
وتمسح عن عينها .. دمعة
وتنظر شاخصة في الطريق
وتصرخ : ها نحن فوق التراب
جياع .. ويأكل منا الذباب ..
وندعوك يا رب
يا رب ، يا رب ..
وتطرق ...
كم خنقت دمعة ، وكم حبست صرخة يائسه

***

أيرضيك .. يا أنت .. هذا المصير ..
ونحن اذا ما صرخنا معاً
ستنفض صرخاتنا كل ضيق
.... تعال إليّ ..
فاني أخوك .. أنا يا صديق
وغلي .. كفلك .. يدمي يديّ
تعال الي ..
لنمضي معاً ..
لنصنع – يا صاحبي – أي شيّ .

القاهرة **كيلاني حسن سند**

الابطال تحت وابل من رصاص الفرنسيين وبقي هو وحده محاطاً بجند العدو من جميع النواحي . خاطب نفسه في هذه اللحظة الحرجة بقوله (رومي أيتها النفس العواصف الهوجاء لأن فرارك أمام الاعداء جريمة وما الموت سوى نهاية مقدرة بيد الله القوي ، وما الرصاص سوى أسباب لهذا الموت والعمر القصير لا تطيله مذلة .)

رومي عجاج الطايب وهروبك قدام الاعداء خايب
الرب يقتل والرصاص اسبايب لعمر لقصف ما طولته ذلة

وقد شاع نوع من الزجل الوطني منذ احتلال الجزائر يسمى بزجل الفتوّة ، قاله ابطال فروا من الجيش الفرنسي فرادى بعد أن أبوا الدفاع عن الراية الفرنسية التي هي رمز للاستعمار والبطش ، وتمردوا على الحكومة الاستعمارية واعتصموا بالجبال وانتقموا من الفرنسيين وأذنابهم ، وساعدوا الفقير وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولقد اشتهر هؤلاء الفتيان بالشجاعة التي لا حد لها وبالفروسية وبمهارتهم العجيبة في فن الرماية ، وتذكرنا حياتهم بحياة الصعاليك في العهد العربي الجاهلي . إلا ان الفرق بين هؤلاء وأولئك هو ان الصعاليك في التاريخ العربي تمردوا على بني وطنهم أما هؤلاء الابطال فانهم تمردوا على أعدائهم .

هذه لمحة أردت أن افيد بها ابناء العروبة عن هذا الفن الشعبي الذي عبّر عن حياة شعب عربي في فترة زمنية تعد من اخطر الفترات في تاريخه . وليعذرني القاريء إذا كان في عملي هذا بعض التقصير لاني كتبت هذا المقال وأنا بعيد عن الجزائر لم تترك لي السنوات التي عشتها بعيداً عنها سوى بعض النصوص المحفوظة مفرقة . الا انها برغم قلّتها فان القاريء يستطيع ان يدرك منها ان الفن الشعبي الجزائري عبّر عن تقلبات الشعب الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي حتى أيامنا هذه بحيث لا نجد هذا التعبير الصادق في الفن الجزائري الواعي سواء منه المعبّر عنه باللغة العربية أو باللغة الفرنسية .

القاهرة **عثمان سعدي**